رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ فِيلِبِّي

كيف تفرح في القيود

تأليف: دفيد روبر

❋ فيلبي ١: ٣-١١

كان بولس مقيد في سجون روما (١: ١٣؛ ٤: ٢٢؛ راجع أفسس ٦: ٢٠). كان ممكناً أن يقضي وقته في ندم وشكوى على نفسه. ولكن بدلاً من ذلك، فرح وشجع الآخرين أن يفرحوا أيضاً: «اِفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، وَأَقُولُ أَيْضًا: افْرَحُوا» (٤: ٤). قد لا نكون مقيدين بسلاسل بالمعنى الحرفي، ولكن يلبس معظمنا سلاسل بمختلف الأحجام والأطوال:

- ❋ صحة متدهورة أو مشكلة طبية خطيرة.
- ❋ زواج غير سعيد أو أولاد يسحقون القلوب.
- ❋ إجهاد نفسي يسببه العمل.
- ❋ كبر سن الوالدين[١].

كيف يمكن لبولس الرسول أن يكون سعيداً في قيوده؟ وكيف نكون سعداء في قيودنا؟ يخبرنا نص درسنا هذا (فيلبي ١: ٣-١١) بذلك.

[١] هذه أمثلة عامة. يمكنك أن تتبناها بحيث تنطبق على مستمعيك.

أنظر إلى الماضي بالشكر لله[٢] (١: ٣-٥)

حينذاك

أولاً، استطاع بولس أن يفرح في قيود لأنه عندما ينظر إلى الماضي، يفعل ذلك بالشكر. إذا كانت الترتيبات النموذجية لأحداث حياة بولس صحيحة، هذا يعني أن علاقته بكنيسة فيلبي تقارب من العشر سنوات. كانت له ذكريات جميلة فقط في تلك العلاقة. قال في الآية ٣: «أَشْكُرُ إِلهِي عِنْدَ كُلِّ ذِكْرِي إِيَّاكُمْ». وكتب في الآية ٤ انه كان يصلي عادة «بِفَرَحٍ» «{لأجلهم جميعاً}»[٣]. كلمتي «كل» و«جميع» الواردتان في هاتين الآيتين تجعلانهما مذهلتان! انهما تحثانا أيضاً على فحص النفس. ماذا عن كنائسنا المحلية التي نحن أعضاء فيها؟ هل يقول عنا الآخرون: «عندما نفكر بكم لا تأتينا إلا ذكريات طيبة»؟ وماذا عنا كأفراد. هل نحن من نوع الناس الذي قد يقول عنهم الواعظ: «أشكر الله لأجل كل ما أتذكر عنك»؟

أهذا يعني أن الأشياء الطيبة فقط هي التي حدثت لبولس عندما كان في فيلبي، أم أن الكنيسة هناك كانت

[٢] ما ورد في فيلبي ١: ٣-١١ هو بداية «قسم الشكر» في هذه الرسالة. تبدأ هذه الفقرة بالشكر، بل ويشمل هذا القسم على أكثر من ذلك. كما سنرى.

[٣] يمكنك أن تدخل ملاحظة عن أهمية الصلاة من أجل الآخرين – وإعلامهم بانك تصلي لأجلهم.

كاملة؟ كلا. لقد تألم بولس الرسول في فيلبي {إذ كتب قائلاً}: «... تَأَلَّمْنَا قَبْلاً وَبُغِيَ عَلَيْنَا كَمَا تَعْلَمُونَ، فِي فِيلِبِّي ...» (١ تسالونيكي ٢: ٢؛ راجع أعمال ١٦: ١٦-٢٤، ٣٥-٤٠). علاوة على ذلك، لم يكن أعضاء كنيسة فيلبي بلا مشاكل (راجع ٤: ٢)[٤]. إذن ماذا قصد بولس عندما قال انه يشكر الله كلما يتذكرهم؟

ربما عندما كان ينظر إلى الوراء إلى احداث غير سارة وقعت في فيلبي، قد رأى الخير الذي نتج عنها (راجع رومية ٨: ٢٨). أدى سجنه الذي كان بغير عدل إلى إهتداء السجان وأهل بيته (أعمال ١٦: ١٦-٣٤). وإجباره على الخروج من المدينة أدى إلى التبشير بالإنجيل في أماكن أخرى (راجع أعمال ١٦: ٣٩ و٤٠؛ ١٧: ١).

طبعاً كانت ذكريات بولس الطيبة مركزة على المسيحيين في فيلبي. حتى بخصوصهم كانت له «ذاكرة انتقائية» ركزت على ما كان جيداً (راجع ٤: ٨). إحدى الذكريات الطيبة هي الطريقة التي دعموا بها عمله بإخلاص: شكر الله «لِسَبَب» مُشَارَكَتهم «فِي الإِنْجِيلِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ إِلَى الآنَ» (١: ٥)[٥]. ترجمت كلمة «مشَارَكَة» هنا من الكَلِمَة اليونانية «κοινωνία كوينونيا». كانت هذه الكلمة هامة بالنسبة لبولس. وقد وردت خمس مرات في مختلف الأشكال في هذه الرسالة القصيرة: تُرجمت إلى «مشاركة» في ١: ٥؛ وإلى «شركاء» في ١: ٧؛ وإلى «شركة» في ٢: ١ و٣: ١٠؛ وإلى «تشارك» في ٤: ١٥. الصيغة الفعلية منها تعني ببساطة «يكون مشترك». تعبر الصيغة الاسمية بفكرة «الشراكة» و«الزمالة». وتشمل المشاركة والمزاملة. وتعبر عن الاحساس بالمجتمع والتقارب والتعاون.

دعم أهل فيلبي عمل بولس بشتى الطرق، بما فيها الصلاة لأجله (١: ١٩). ولكنه عندما تحدث عن مشاركة أهل فيلبي في الإنجيل، كان شاكراً بصفة خاصة من أجل دعمهم المالي. يستخدم بولس أحياناً كلمات مثل «عطاء» (راجع ٤: ١٥) عندما يتحدث عن مساعدة مالية، ولكنه كان يفضل كلمات مثل «شركة». في أطول حواره عن العطاء (كما ورد في ٢ كورنثوس ٨: ٩) استخدم كلمات مثل «نعمة» و«شركة» و«خدمة» (راجع ٢ كورنثوس ٨: ٤).

بسبب إيمانهم المشترك شارك الْفِيلِبِّيُّون ما كان لديهم مع بولس. كتب بولس في الأصحاح ٤ من هذه الرسالة قائلاً: «وَأَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ أَيُّهَا الْفِيلِبِّيُّونَ أَنَّهُ فِي بَدَاءَةِ الإِنْجِيلِ،لَمَّا خَرَجْتُ مِنْ مَكِدُونِيَّةَ، لَمْ تُشَارِكْنِي كَنِيسَةٌ وَاحِدَةٌ فِي حِسَابِ الْعَطَاءِ وَالأَخْذِ إِلاَّ أَنْتُمْ وَحْدَكُمْ. فَإِنَّكُمْ فِي تَسَالُونِيكِي أَيْضًا أَرْسَلْتُمْ إِلَيَّ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ لِحَاجَتِي» (٤: ١٥ و١٦). بدأت شراكتهم مع بولس عندما فتحت ليدية بيتها له ولزملاءه[٦]. واستمرت إلى آخر عطية أتى بها َبَفْرُودِتُسَ إلى روما (٤: ١٠ و١٨).

بصفتي كإرسالي سابق، أني أحب كلام بولس عن دعم أهل فيلبي: «مشاركتكم في الإنجيل». عندما كنتُ وأسرتي نقيم بأستراليا، كنا نرجع إلى الولايات المتحدة للإجازة كل ثلاث سنوات تقريباً. عندها أزور الكنائس التي كانت تدعم عملنا. أشكرهم لأجل «شركتهم» في العمل وأوضح انه عندما يرسلوا الدعم، يشاركون بذلك في خدمتنا.

الآن

كان باستطاعة بولس أن يكون سعيداً في قيوده لأنة نظر إلى الماضي بالشكر لله. قد نركز انتباهنا على الأشياء غير الجيدة التي حدثت في حياتنا ونكون في نهاية المطاف رجال ونساء غليظين – أو يمكننا أن نتذكر الأشياء الجيدة ونشكر الله ونكون سعداء. كان لي كتاب عنوانه «Happiness Is a Choice»[٧] {أي «السعادة خيار»}. قد يعتقد البعض أن هذا العنوان مبالغ فيه قليلاً، ولكن صحيح سواء كنا سعداء أم لا، يتوقف هذا بقدر كبير على الطريقة التي ننظر بها إلى الحياة.

---

[٤] يصر الدرس الذي بعنوان «عندما كتب بولس إلى موطنه» على أن كنيسة فيلبي لم تكن تفيض بالمشاكل. تتكون كل كنيسة محلية من الناس؛ وبما أن الناس غير كاملين (رومية ٣: ٢٣)، لا تكون هناك كنيسة كاملة.

[٥] يمكنك أن تضع التوكيد على أنهم حالما بدأوا يساعدون بولس، لم يكفوا عن ذلك. نحن أحياناً نبدأ عمل صالح، ونتخلى عنه قبل الاكتمال (راجع رؤيا ٣: ٢).

[٦] راجع أعمال الرسل ١٦: ١١-١٥.

[٧] فرانك مارتن وبول دي مبير في كتابهما بعنوان «Happiness Is a Choice».

أسمى إيلا وهيلر ويلكوس هذا بـ«الوضع الذي تكون عليه الأشرعة»:

> تبحر سفينة واحدة إلى الشرق وأخرى إلى الغرب
> مع الرياح نفسها التي تهب.
> وضع الأشرعة وليست العواصف
> هو الذي يرينا الطريق الذي نذهب به
> طرق المصير كرياح البحار
> عندما نبحر عبر الحياة،
> وضع النفس
> هو الذي يحدد هدفها،
> وليس الهدوء أو الكفاح[٨].

أنظر إلى الحاضر بثقة في الله (١: ٦-٨)

حينذاك

عندما كان بولس يفكر بالمسيحيين في فيلبي، كانت المشاعر تغمره. كانت المحبة إحدى هذه المشاعر. قال لهم: «... لأَنِّي حَافِظُكُمْ فِي قَلْبِي ...» (١: ٧). قدم وارن ويرسبي مثال من العهد القديم ذو صلة بذلك المصطلح:

> كان رئيس الكهنة في العهد القديم يلبس ثوب خاص، أي صُدْرَة (صدرية)، على صدره. وعليها اثنتي عشرة حجر بأسماء أسباط إسرائيل الاثني عشر منحوتة عليها، وجوهرة لكل سبط ({خروج} ٢٨: ١٥-٢٩). كان يحمل الشعب في قلبه بالمحبة، هكذا فعل بولس[٩].

كتب بولس أيضاً «فَإِنَّ اللهَ شَاهِدٌ لِي كَيْفَ أَشْتَاقُ إِلَى جَمِيعِكُمْ فِي أَحْشَاءِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (الآية ٨). كانت «الأحشاء» تُعْتَبر في تلك الأيام «مركَز العواطف». عندما قال بولس انه اشتاق إليهم في أحشاءه، كان يعبر بذلك عن مدى عمق وقوة إحساسه. قد نقول في يومنا هذا: «إشتاق إليكم بكل قلبي». ولكن الأكثر أهمية هي أن كلمة «أحشاء» هي كلمة تصف المسيح يسوع. أحب بولس الرسول بالمحبة التي توصف بها الرب![١٠]. لم يكن ذلك إسعاد بسيط – ولكنه كان متأكداً انه على صدق، لهذا دعى الرب كشاهد له.

عندما تذكر بولس إخوته وأخواته، كان واثقاً تمام الثقة. تبدأ الآية ٦ هكذا: «وَاثِقًا بِهذَا عَيْنِهِ ...». الثقة هي الشيء الثاني الذي أريدأن أضع عليه التوكيد في درسنا هذا: كان بولس سعيداً في القيود لأنه كان يستطيع النظر في الحاضر بثقة ... .

قبل أن أنهي تلك الجملة، أريد أن أقول شيء قليل عن الـ«ثقة». فكرة الـ«ثقة» تتخلل هذه الرسالة. في عالم مليء بعدم اليقين، تكون هذه الفكرة منعشة. وردت على الأقل خمسة أشكال مختلفة للكلمة اليونانية «ثقة» في هذه الرسالة: الكلمة العربية المستخدمة في ١: ٦ هي «وَاثِقًا»؛ وفي ١: ١٤ هي «وَاثِقُونَ»؛ وفي ١: ٢٥ هي «وَاثِقٌ»؛ وفي ٣: ٤ «أَتَّكِلَ» و«يَتَّكِلَ». ليس من السهل إيجاد توازن. بما يختص بكلمة «ثقة»، قد يكون الشخص المفرط في الثقة غير مرغوب فيه ومتعجرف. ومن ناحية أخرى، من يفتقر إلى الثقة يكون عادة أسوأ عدو لنفسه.

دعني الآن أكمل جملتي: كان بولس سعيد في قيوده لأنه كان قادراً أن ينظر إلى الحاضر بثقة في الله. لم يثق بنفسه بقدر ما كان واثقاً بالله. لقد كان مليئاً بالثقة بصفة أساسية بسبب من هو الله: الذي يعمل فينا. بعد ما قال بولس: «وَاثِقًا بِهذَا عَيْنِهِ»، أوضح ما كان يثق به: «أَنَّ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلاً صَالِحًا يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ». كتب بولس في الأصحاح التالي: «لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ» (٢: ١٣). يعمل الله في المسيحيين بشتى الطرق: يعمل فينا بواسطة كلمته (راجع عبرانيين ٤: ١٢). يعمل فينا بواسطة أحداث في حياتنا (راجع يعقوب ١: ٢ و٣؛ رومية ٥: ٣-٥). ويعمل فينا بواسطة الناس (راجع ٢ كورنثوس ٧: ٦). يعمل فينا

---

[٨] إيلا وهيلر ويلكوس في درس بعنوان «The Winds of Fate» من كتابه «The Best Loved Poems of the American People»، صفحة ٣٦٤.

[٩] وارن ويرسبي في تفسيره بعنوان «The Bible Exposition Commentary»، المجلد ٢ (صفحة ٦٦).

[١٠] هناك ترنيمة إنجليزية تقول «I love you with the love of the Lord» {أي «أحبك بمحبة الرب»}. إذا كان مستمعيك يعرفون هذه الترنيمة يمكنك الإشارة إليها، أو تقودهم في ترنيمها.

بواسطة روحه الساكن فينا، هذه موهبة غير عجائبية ينالها جميع المسيحيين عند المعمودية (أعمال ٢: ٣٨؛ راجع رومية ٨: ٩، ٢٦-٢٨).

كان بولس قد رأى عمل الله في فيلبي وآمن أن الرب يستحق التمجيد في كل ما صنع من أعمال صالحة. لقد أعطى لله الفضل في الآية ٦ لأجل تأسيس الكنيسة في فيلبي: «... الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلاً صَالِحًا». علاوة على ذلك، كان يؤمن بان ما بدأه الله، سيكمله: «أَنَّ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلاً صَالِحًا يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ». تشير عبارة «يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» هنا إلى المجيء الثاني للرب يسوعَ المسيح (راجع ١ تسالونيكي ٥: ٢). أشار بولس مرة أخرى إلى ذلك اليوم الخاص في ٣: ٢٠ و٢١ من الرسالة إلى أهل فيلبي. كان بولس يؤمن بان الله سيستمر يعمل في حياة أهل فيلبي (والمسيحيين الآخرين)، متمماً قصده فيهم، طالما العالم باقي.

ربما يجب أن أضيف انه عندما تحدث بولس عن الله يكمل عمله، لم يقصد أن يقول اننا كمسيحيين لا يمكننا السقوط. سنتحدث بالمزيد عن هذا الموضوع بالتفصيل عند دراستنا للأصحاح ٣. ولكن بولس أعطانا باعث قوي لئلا نسقط: الله يهتم بنا وهو فعال في حياتنا!

الثقة التي عبر عنها بولس هي بصفة أساسية بسبب من هو الله، ولكن ثقته تقوى بسبب من كان المسيحيين الذين في فيلبي: نوع الناس الذين يمكن أن يعمل الله فيهم. لم يبحث الله عن أناسٍ كاملين ليعمل فيهم؛ لو كان يفعل كذلك، لمَا وجد أحداً. بل يبحث عن الذين يسمحون له بالعمل في حياتهم. بعد ما تحدث بولس عن ثقته بان الله سيكمل عمله الصالح في أهل فيلبي (١: ٦)، قال: «كَمَا يَحِقُّ لِي أَنْ أَفْتَكِرَ هذَا مِنْ جِهَةِ جَمِيعِكُمْ ... وَفِي الْمُحَامَاةِ عَنِ الإِنْجِيلِ وَتَثْبِيتِهِ، أَنْتُمُ الَّذِينَ جَمِيعُكُمْ شُرَكَائِي فِي النِّعْمَةِ» (الآية ٧).

ما هي الصفات التي سمحت لله أن يعمل في حياة المسيحيين الذين كانوا في فيلبي؟ استخدم بولس مرة أخرى كلمة «كوينونيا κοινωνία» (أي «شريك») وذكر ثلاثة تعبيرات لأهل فيلبي في الـ«مشاركة»: شركتهم معه وفي الإنجيل وفي النعمة (الآية ٧).

* بما يختص بشركتهم مع بولس، لم يتخلوا عنه كما فعل آخرون عندما كان سجيناً (راجع ١: ١٥، ١٧؛ ٢ تيموثاوس ١: ٨؛ ٤: ١٦). بل استمروا في مساعدته.
* بما يختص بشركتهم في الإنجيل، دافعوا عن الإنجيل وأثبتوه عند الهجوم عليه. الكلمة اليونانية المترجمة هنا إلى «محاماة» في الآية ٧ قد تعني «مدافع» أو مرافع، ومنها تأتي كلمة «دفاع»[١١]. وتختص بـ«دفاع الشفهي»[١٢] وتشمل على مهمة الرد على الاعتراضات. كلمة «تثبيت» هي الجانب الأكثر إيجابية لعبارة «المحاماة {أي الدفاع}» عن الإنجيل: تشير إلى التعليم والعظة اللذان يثبت الإيمان (راجع أعمال ١٤: ٢١ و٢٢).
* بما يختص بشركتهم «في النعمة»، استخدم بولس كلمة «نعمة» (استحسان غير مستحق) لتشمل كل ما كان هو وما فعل (راجع رومية ١: ٥): لقد خلص بنعمة، ونال رسوليته بنعمة، وخدم بنعمة الله. عندما دعم أهل فيلبي بولس والإنجيل، أصبحوا «شركاء» هذه النعمة.

انه شيء جميل أن يكون باستطاعة بولس أن يثق في أهل فيلبي. ربما تعلم كم يكون من سحق القلب أن تفقد الثقة في شخص آخر. ولكن عند ختامنا للسبب الثاني من سعادة بولس بينما كان في قيود، علينا بالرجوع إلى السبب الأساسي لثقته: كان يثق في الله – بان الله سيستمر يعمل في حياته وفي حياة المسيحيين الآخرين.

الآن

مهما كانت التحديات التي تواجهنا في الحياة، علينا أن نتذكر باننا إن كنا أبناء الله الأمناء، فاننا لا نواجه تلك التحديات وحدنا. ما زال الله حياً وفعالاً

[١١] تُستخدم كلمة «دفاع» في علم الدفاع عن المسيحية، بتشديد خاص على معقولية الإيمان بالله والمسيح والكتاب المقدس.

[١٢] راجع «Analytical Greek Lexicon»، صفحة ٤٥.

في حياتنا[١٣]. وصف بولس الرب بانه «الْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِينَا» (أفسس ٣: ٢٠). ينبغي أيضاً أن نتذكر أن ما يبدأه الله، سيكمله. لا يتخلى الله عن العمل الذي بدأه.

أحد «أسرار» السعادة هو أن نسلم حياتنا، بما فيها مشاكلنا للرب. يقال عن رجل انه كان قلقاً ليلاً ونهاراً على أعماله، إلا أن قرر في أحد الأيام أن يسلمها لله. «انها أعمالك» هكذا قال للرب. وأخيراً أصبح مرتاح البال، وبداء ينام في الليل. وفي إحدى الأمسيات أيقظته مكالمة هاتفية تخبره أن مكان عمله كان يحترق. فذهب إلى هناك، وراقب بكل هدوءالمكان وهو يحترق. اندهش الذين كانوا واقفون هناك. وسألوه: «كيف تكون هادئاً هكذا؟» فابتسم وقال: «لقد أعطيتُ هذه الشركة لله، وإن إراد أن يحرقها حتى الرماد، فهذا شأنه»[١٤]. قد تصدمك مثل هذه الإجابة في أول الأمر، أو حتى قد تقول انه أمر لا يصدق. ولكن هذا النوع من السلوك ضروري اذا اردنا المحافظة على راحة البال. كتب تشارلز سويدول قائلاً: «أسعد الناس الذين أعرفهم هم الذين تعلموا كيف لا يتمسكون بشدة في الامور الدنيوية، وسلموا كل ما هو مثير للقلق في حياتهم لرعاية الله»[١٥]. إن أردت أن تكون سعيداً في «القيود» أنظر إلى الحاضر بثقة في الله.

أنظر إلى المستقبل بالصلاة لله (١: ٩-١١)

حينذاك

أخيراً، كان بولس سعيداً في القيود لأنه نظر إلى المستقبل بصلاة لله. لم يتجاهل حقيقة الحياة بخصوص ما كان أمامه[١٦]. كان يعرف أن أهل فيلبي سيواصلون في مواجهة التحديات. ما الحل الذي قدمه؟ القلق؟ كلا، بل كانت إجابته هي صلاة. صلى بصفة خاصة أن يستمر أهل فيلبي في النضوج في الرب.

> وَهذَا أُصَلِّيه[١٧]: أَنْ تَزْدَادَ مَحَبَّتُكُمْ أَيْضًا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ فِي الْمَعْرِفَةِ وَفِي كُلِّ فَهْمٍ، حَتَّى تُمَيِّزُوا الأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ، لِكَيْ تَكُونُوا مُخْلِصِينَ وَبِلاَ عَثْرَةٍ إِلَى يَوْمِ الْمَسِيحِ، مَمْلُوئِينَ مِنْ ثَمَرِ الْبِرِّ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِمَجْدِ اللهِ وَحَمْدِهِ (الآيات ٩-١١).

صلى أولاً لأجل نموهم في المحبة: «أَنْ تَزْدَادَ مَحَبَّتُكُمْ أَيْضًا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ». الكلمة اليونانية المترجمة إلى «محبة» هي «أقابي ἀγάπη»، وهي محبة غير أنانية تطلب ما هو أفضل للآخرين. كثر بولس هنا استعمال المقارنات: صلى من أجل «إزدياد» محبتهم، أن تزداد «أكثر» ثم أضاف أيضاً «فأكثر». أراد أن تكون محبتهم مثل سيل عظيم، يزداد حجماً وقوةً أبداً. ولكن تحتاج المحبة إلى توجيه. النهر الخارج عن نطاق السيطرة قد يكون مدمراً[١٨]. ينبغي أن يعمل القلب والعقل معاً (راجع متى ٢٢: ٣٧؛ رومية ١٠: ٢). لهذا شمل بولس شيئين آخرين في صلاته هذه.

صلى بعد ذلك من أجل النمو في «الْمَعْرِفَةِ». وردت في ترجمة كتاب الحياة العبارة «تمام المعرفة». والعبارة «تمام المعرفة» هنا مترجمة من كلمة يونانية مركبة من كلمتي «قنوسيس γνῶσις» (أي «معرفة») مع حرف جر «إبي ἐπὶ» (أي «على»). وتشير إلى معرفة مع «شيء مضاف». هذه ليست معرفة سطحية. تعني هذه الكلمة «يدرك تماماً» {أو «تمام الإدراك»}. أن تكون لهم معرفة شاملة. وكان بولس يقصد معرفة روحية، معرفة الله ومشيئته. تأتي مثل هذه المعرفة من دراسة مجتهدة لكلمة الله والتأمل في كل ما له

---

[١٣] أني أحب الترنيمة الإنجليزية التي بعنوان «He's Still Working on Me» {أي «انه ما زال يعمل فيَّ»}. إن كان مستمعيك يعرفون هذه الترنيمة، يمكنك استخدام هذه الكلمات كمثال توضيحي.

[١٤] تم تبني هذا المثال التوضيحي من كتاب تشارلز آر سويندول بعنوان «Laugh Again»، صفحتي ٤٠ و٤١.

[١٥] المرجع السابق، صفحة ٤١.

[١٦] قال المبشر جورج بايلي: «قد تنظر إلى المستقبل بتفاؤل أو بتشائم».

[١٧] الكلمة اليونانية المترجمة هنا إلى «أُصلي» هي الكلمة العامة للصلاة والتي تشمل جميع عناصر الصلاة (مثل الشكر والتمجيد).

[١٨] يمكنك أن تأتي بمثال توضيحي لحدث مثل هذا، ومن الأفضل أن يكون حدثاً معروفاً لدى مستمعيك.

معنى في حياة الشخص.

يوجد علاقة قوية مع هذا، الشيء التالي في صلاة بولس لأجل أهل فيلبي: صلى من أجل نموهم في القدرة على التمييز بين ما هو قويم وغير قويم، إذ قال: «وَفِي كُلِّ فَهْمٍ، حَتَّى تُمَيِّزُوا الأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ». توجد الكثير في هذه الكلمات. لنبدأ بالكلمة «فهم». عندما يستطيع الشخص الفهم يمكنه أن يميز. وهذه القدرة هي علامة نضوج: قد يظن الطفل الصغير أن كل حيوان له أربع أرجل هو كلب، ولكن عندما ينمو الطفل يستطيع التمييز بين الكلب والبقرة.

أراد بولس لأهل فيلبي أن ينموا حتى يستطيعوا أن يميزوا الروحانيات. تشير الرسالة إلى العبرانيين ٥: ١٤ إلى البالغين «الَّذِينَ بِسَبَبِ التَّمَرُّنِ قَدْ صَارَتْ لَهُمُ الْحَوَاسُّ مُدَرَّبَةً عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ». هذا النوع من التمييز مشمول في النص الوارد في الرسالة إلى أهل فيلبي ١: ٩ و١٠.

الكلمة اليونانية المترجمة إلى «تميزوا» في الآية ١٠ معناها «تفحصوا». وقد تشير إلى الشيء الذي تم فحصه وَوُجد أصيلاً. الكلمة اليونانية المستخدمة في الترجمة اليونانية للعهد القديم هي قريبة من الكلمة «ثبت». وكانت تُستخدم عند فحص المعدن (راجع على سبيل المثال أمثال ١٧: ٣). يجب أن نتعلم فحص كل شيء وكل تعليم وكل نشاط. هناك شيئان رئيسيان للإختبار، وهما «إختبار الكلمة» و«إختبار الثمر» (راجع متى ٧: ١٦؛ رومية ١٢: ٢؛ ٢ كورنثوس ٢: ٩؛ ١٣: ٥؛ يعقوب ١: ٢٢؛ ١ يوحنا ٤: ١؛ رؤيا ٢: ٢). القدرة على اختبار كل شيء بهذه الطريقة ليس إنجازاً بسيطاً؛ يفتقر الكثيرون إلى القدرة على التمييز بين ما هو قويم وما هو غير قويم، وبين الخير والشر.

ولكن بولس أراد لقراءه أن يخطوا خطوة أخرى بإدراكهم. قال: «حَتَّى تُمَيِّزُوا الأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ». تشير الكلمة اليونانية «ديافرو διαφέρω» المترجمة هنا إلى «متخالفة» إلى ما هي «متميزة، أو فريدة من نوعها»: «حتى تميزوا الأمور الفريدة من نوعها». ليس الشيء المهم هو أن نتعلم تمييز الشيء الجيد فقط، بل من المهم أيضاً أن نتعلم تمييز ما هو أحسن وما هو أفضل – أي بعبارة أخرى، ما هو «متخالف/فريد من نوعه» حقاً. القرارات الأكثر صعوبة لي بما تختص بإستخدام الزمان والقدرات، ليس التمييز بين الخير والشر، بل التمييز بين ما هو جيد وجيد جداً وممتاز: على سبيل المثال، كيف استخدم وقتي وقدراتي على اكمل وجه.

صلى بولس أيضاً من أجل نمو أهل فيلبي في الإيمان بصفات مسيحية: «لِكَيْ تَكُونُوا مُخْلِصِينَ وَبِلاَ عَثْرَةٍ إِلَى يَوْمِ الْمَسِيحِ». كلمة «مخلصين» هنا تعني بصفة أساسية «بلا رياء» {«غير مزيف»}.

أضاف بولس عبارة «بِلاَ عَثْرَةٍ» إلى كلمة «مُخْلِصِينَ». وعبارة «بِلاَ عَثْرَةٍ» لا تعني «الكمال» {«مرحلة الكمال»}، ولو كان هذا معناها، لمَا تأهل أحد منا (رومية ٣: ٢٣). ولا تعني أيضاً ان الآخرين لن يلومونا أبداً؛ حتى يسوع نفسه والرسل أيضاً أُتهموا بمخالفات (راجع متى ٢٧: ١٢؛ أعمال ٢٤: ٢؛ ٣ يوحنا ١٠). بل تشير إلى نوع الحياة التي يرى فيها الآخرون اننا نحاول أن نعمل ما هو قويم. ينبغي أن نعمل كل ما بوسعنا لنحيا حياة التقوى «بلا عثرة» (راجع ٢ بطرس ١: ١٠). وأيضاً يجب أن نكون حساسين لحاجات وحقوق الآخرين – ونسعى إلى أن نعيش حياة بحيث لا نجعلهم يتعثرون (راجع ١ كورنثوس ٨: ١٣؛ ١ يوحنا ٢: ١٠). كلمتي «مُخْلِصِينَ» و«بِلاَ عَثْرَةٍ» تثنيان بعضهما البعض. للأولى علاقة بالشخصية وللثانية علاقة بالسمعة. وكلاهما هامتان.

الشيء الأخير في قائمة صلاة بولس لإخوته وأخواته في فيلبي هو أن ينموا في حياة مثمرة: «عند امتلاؤهم بثمر البر». مع أن كلمة «ثمر» مستخدمة بشتى الطرق في كتاب العهد الجديد، إلا انها تشير هنا إلى النتيجة العملية للحياة الحميمة مع الرب: صفات مثل صفات المسيح يمكن للآخرين مشاهدتها. «وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ ...» (غلاطية ٥: ٢٢ و٢٣). صلى بولس من أجل أن يمتلىء أهل فيلبي بمثل هذا الـ«ثمر». أتصور شجرة مثقلة بالثمر. قال يسوع لتلاميذه: «بِهذَا يَتَمَجَّدُ أَبِي: أَنْ تَأْتُوا بِثَمَرٍ كَثِيرٍ فَتَكُونُونَ تَلاَمِيذِي» (يوحنا ١٥: ٨).

كيف نمتليء من ثمر البر؟ «يأتي الثمر بواسطة يسوع المسيح». ويشتمل هذا على جهد شخصي لإنتاج ثمر مادي؛ ولكن المصدر المطلق لكل من الثمر المادي والروحي هو الرب. أشار أحد الكُتَّاب إلى أن الشجرة أو الكرمة لا تصنع ضجة كبيرة عند انتاجها للثمر. عندما ندرك أن الرب هو مصدر الثمر في حياتنا، يجب أن يضع هذا حداً للتكبر وترويج الذات. قال يسوع أن: «... الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا» (يوحنا ١٥: ٥).

لماذا يجب أن نمتليء بهذا الثمر؟ ينبغي أن نعمل هذا لمجد وإكرام الله. ينبغي أن نكرم الرب بكل ما نقول وما نعمل. عيشوا حياتكم «هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى ٥: ١٦). عندما نعمل هذا، سنتبارك أيضاً، لأن ما يمجد الله يمجد الإنسان أيضاً.

الآن

تطبيق الآيات من ١٠ إلى ١٣ على المستوى الشخصي ليس صعباً. لكي نواجه المستقبل بثقة علينا أن نعيش في علاقة حميمة مع الرب كل يوم ونمجده في كل شيء[١٩]. ولكني أريد أن أضع التوكيد على المغزى الأساسي لهذا القسم الأخير: كان بولس سعيداً في قيوده لأنه نظر إلى المستقبل بصلاة لله. توكل على الله، عالماً بانه عندما يرجع المسيح (الآيتان ٦ و١٠)، يكون الكل على ما يرام. (كان بولس قد تعلم أن «لاَ نَكُونَ مُتَّكِلِينَ عَلَى أَنْفُسِنَا بَلْ عَلَى اللهِ» (٢ كورنثوس ١: ٩). قال لتيموثاوس: «... لأَنَّنَا قَدْ أَلْقَيْنَا رَجَاءَنَا عَلَى اللهِ الْحَيِّ ...» (١ تيموثاوس ٤: ١٠). لا أعرف أي وصية أفضل للذين «في قيود» من أن يحولوا أنظارهم من أنفسهم ويركزوها على الرب.

الخلاصة

قد ننظر إلى الماضي بالظن أو بالشكر. قد ننظر إلى الحاضر بالجبن أو بالثقة. قد ننظر إلى المستقبل بقلق أو بصلاة. قد نتكل على قوتنا، أو قد نتعلم الإتكال على الله ويسوع. الخيارات الأولى هي وصفة أكيدة لعدم السعادة. والثانية هي وصفة الله للسعادة – بغض النظر عن «القيود» التي «تربطنا».

مذكرة

عندما تستخدم هذا الدرس، يمكنك أن تخبر مستمعيك بالكيفية التي يجب فيها تأسيس علاقة قويمة مع الله – بواسطة التواضع والطاعة الواثقة (يوحنا ٣: ١٦؛ مرقس ١٦: ١٦؛ غلاطية ٣: ٢٦ و٢٧). بعون الرب يمكن تكسير «قيود الخطيئة» (رومية ٦: ١-٦، ١٧ و١٨).

[١٩] يمكنك أن تراجع جميع الأشياء التي صلى بولس من أجلها بما يختص بأهل فيلبي.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠